

OPEN ACCESS

Submitted: 13 December 2020
Accepted: 8 March 2021

البناء الأسلوبي لبلاغة الدعاء في رسائل الجاحظ

حسن الطويل

أستاذ اللغة العربية وآدابها، أكاديمية الشرق، المغرب

attaouil_hass@hotmail.fr

ملخص

يؤدي الدعاء وظائف حجاجية مهمة في الخطابات التي يُوظف فيها، فوظيفته لا تقتصر على إضفاء الطابع الديني على الكلام فقط، بل تتجاوز ذلك إلى خلق طاقة إقناعية، تساعد المتكلم على بناء جسر تواصل مفعم بالثقة، وعلى استرضاء المخاطب واستدراجه نحو الاقتناع. وفي هذا الصدد، يساعد المكون الأسلوبي الكتاب على صياغة بلاغة الدعاء المؤثرة، ويمدّهم بأدوات البناء المطلوبة. وما نحاوله في هذا البحث، يتمثل في توضيح أدوار الأسلوب في تشكيل بلاغة الدعاء في نماذج من رسائل الجاحظ، وذلك ما سعينا إلى تحقيقه عبر معالجتنا التحليلية، ذات الطابع البلاغي، لجملة من التقنيات الأسلوبية الموظفة في متن التطبيق.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الدعاء، الأسلوب، الرسائل، الجاحظ

للاقتباس: الطويل، حسن. «البناء الأسلوبي لبلاغة الدعاء في رسائل الجاحظ»، مجلة أنساق، المجلد الخامس، العدد الأول، 2021

<https://doi.org/10.29117/Ansaq.2021.0127>

© 2021، الطويل، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقاً لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

OPEN ACCESS

Submitted: 13 December 2020
Accepted: 8 March 2021

The Stylistic Construction of the Rhetoric of Supplication in al-Jāhīz Letters

Hassan Attaouil

Professor of Arabic language and Literature, Orient Academy, Morocco

attaouil_hass@hotmail.fr

Abstract

Supplication performs important argumentative functions in the discourses it is employed. Thus, its function transcends religionization of speech, as it creates a persuasive power that helps the speaker to build a communicative bridge full of trust, and to appease the addressees and draw them to conviction. In this regard, the stylistic component helps writers to formulate this powerful supplication rhetoric and provides them with the required construction tools. This research aims at clarifying the stylistic roles in shaping supplication rhetoric through examples of Al-Jāhīz's Letters with an analytical approach, employing rhetoric, for a set of stylistic techniques in the application process.

Keywords: Supplication; Style; Letters; Al-Jāhīz

Cite this article as: Attaouil H., "The Stylistic Construction of the Rhetoric of Supplication in al-Jāhīdh Letters", *Ansaq Journal*, Vol. 5, Issue 1, 2021

<https://doi.org/10.29117/Ansaq.2021.0127>

© 2021, Attaouil H., licensee QU Press. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

المقدمة

تتردد صيغة الدعاء بصورة منتظمة في صدور معظم الرسائل التي ألفها الجاحظ، والسبب الذي يقف وراء هذه الظاهرة، لا ينحصر في رغبة التوافق مع الثقافة الإسلامية التي تحث على التخلُّق بالكلم الطيب، وتدعو إلى الاستعانة بالله في جميع ما يُقبل عليه المرء؛ بل هناك أسباب أخرى كانت تفرِّض على الكُتَّاب في الثقافة العربية القديمة تصدير مؤلفاتهم بالأدعية، أهمُّها التقرب من المخاطب، واسترضائه، والمساهمة في تحسين صورة الذات المتكلمة؛ أي إن الدعاء لدى المؤلفين العرب القدامى، ومنهم الجاحظ، يعد استراتيجية خطابية يُتوسَّل بها لإنجاز أعمال حجاجية بالغة الأهمية في سياق التقديم للخطاب.

أما الدعاء الذي ينفصل عن التخاطب البشري المحض، ويسعى به الإنسان في لحظة مناجاة إلى دعوة ربه والتوسل إليه لقضاء حوائجه وإصلاح أحواله فدوافعه مختلفة، لكنه، على كل حال، خطاب بلاغي يستحق أن يُخصَّص له دراسات بلاغية تراعي خصوصيته البعيدة عن الحجاج نوعاً ما، على غرار دراسة عبد الفضيل الدراوي: «بلاغة الدعاء، بحث في المبادئ والسمات».

وبخصوص استعمال الدعاء في الرسائل الأدبية، يميز صالح بن رمضان، في كتابه «الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم»، بين صورتين منه: «أما الاستعمال الأول فينزع فيه [الدعاء] إلى اكتساب صفة الغرض الأدبي، ويبرز ذلك في الرسائل البسيطة التي تكتب بمناسبة حدث ما له صلة بوضع المخاطب وأحواله كالتعزية والتهنئة، ونجد نماذج كثيرة يقتصر فيها كتابها على الدعاء للمخاطب وتكون معاني هذا الغرض معبرة عن تقاليد المخاطبة وآداب التعامل الاجتماعي. [...] وأما ثاني الاستعمالين؛ فيكون فيه الدعاء عنصراً، من عناصر الرسالة، ذا وظيفة بنوية من جهة، وشكلاً من أشكال صناعة المعنى من جهة ثانية، وهو يُستخدم في الصدور والمتون والخواتم؛ لتحقيق هاتين الوظيفتين» (بن رمضان 529، 530). فإذا توضح هذا التمييز؛ فإن الاشتغال على الدعاء، في هذا السياق التحليلي، يتأطر ضمن الاستعمال الثاني.

وانطلاقاً من الوعي بوظائف الدعاء الحجاجية في الخطاب الإقناعي عامة، وفي خطابات الجاحظ خاصة؛ تحاول فقرات هذا البحث، استجلاء الطاقة الأسلوبية التي تمنح الدعاء قوة حجاجية في عينة من «رسائل الجاحظ»، بالتركيز على الأدعية الواردة في مقام المقدمة، ولعل هذا الطموح التحليلي، يتفاعل مع إشكالية جوهرية، يمكن صياغتها على النحو الآتي:

كيف يساعد الأسلوب على الصياغة الحجاجية للدعاء؟

وقد حرص البحث، في رحلته التحليلية، على التطرق لرسائل متنوعة «رسائل المتن التطبيقي»، من أجل تقديم صورة عن مختلف الاستراتيجيات التي يتفاعل فيها الأسلوب مع الدعاء في سياقات تختلف فيها الشروط التداولية:

- من يتوجه إليه المتكلم بالدعاء؟
- وما العلاقة التي تجمع المتكلم بالمخاطب؟
- وما الغرض الذي يراهن عليه الجاحظ من خلال توظيفه للدعاء؟

وتبعاً لهذه الخطة التحليلية؛ فإننا سنتناول الرسائل التالية: (مناقبة الترك، خلق القرآن، رسالة المعلمين، الأوطان والبلدان، تفضيل النطق على الصمت، المسائل والجوابات في المعرفة، فصل ما بين العداوة والحسد).

وعن منهج التحليل المعتمد في المقاربة التطبيقية المقترحة، نوّضح أننا سنتتبع من زاوية بلاغية حجاجية الوظائف الإقناعية لوجوه الأسلوب التي استخدمها الجاحظ في فواتح أدعيته، وهذا معناه أننا نلظر إلى الأسلوب في متن التطبيق من زاوية تداولية، ونتجاوز به وظائفه الجمالية إلى الوظيفة التداولية المتعلقة بتحقيق أثر عملي يتمثل في استدراج المخاطب والتأثير فيه. إن الصورة البلاغية بهذا الاعتبار، سواء أكانت دلالية أم تركيبية أم معجمية أم موسيقية، لها بعد وظيفي (Reboul 121) يتقاطع مع المقاصد الحجاجية للمتكلّم.

ويتحدد الأسلوب في العادة، وكما عرّفه جلّ المنظرين، بقيامه على العدول عن الاستعمال اللغوي المألوف (بليت 66). ومعنى ذلك في النظرية الحجاجية أن الإتيان بوجه أسلوب محدد، تكون وراءه رغبة في ترك التعبير المألوف الذي لا يؤدي الدلالة المقصودة بشكل يسمح بإنفاذ دعوى ما إلى ذهن المخاطب؛ ولأجل ذلك يحصل تجاوزه إلى اصطفاء التعبير الناجع والملائم لرهانات الملفظ الإقناعية. وحسب محمد مشبال، فإن الوجوه الأسلوبية الحجاجية هي تلك الملفوظات التداولية الفريدة والمخالفة للأشكال اللغوية «المستخدمة لأداء المعاني الأصلية غير المرتبطة بأغراض زائدة عن التواصل الإخباري» (مشبال 118).

1. التوظيف الحجاجي للضمائر

ينظر الدرّس اللغوي العربي القديم إلى الضمائر اللغوية من زاوية المواقع التركيبية، والأشكال الصورية للإحالة على المدلولات. وهذا النظر لا يُقحم في اهتماماته - في معظم الأحوال - ما يتعلق بفوائد تنويع الضمائر، واستبدال نوع منها بآخر، والالتفات من ضمير إلى ضمير، وغير ذلك من الأسئلة المعنية بالبحث في جمالية الضمائر، ووظائفها التداولية، وأسباب خروجها عن قواعدها الأصلية، وتفسير ذلك أن النظر النحوي نظر صوري، يضع في صلب انشغالاته التقعيد للغة، وإرساء الأسس المنظمة للقول اللغوي في حدوده الطبيعية المعتادة.

وبخلاف ذلك، اهتمت البلاغة العربية عبر تاريخها الطويل، بالضمائر من زوايا جمالية وحجاجية متعددة، في أبواب بلاغية، مثل «الالتفات» و«التجريد» و«الحذف»، كما انبرى النقاد، في مناسبات كثيرة، إلى تفسير تذوقهم للشعر انطلاقاً من ملاحظاتهم بخصوص توظيف الضمائر. وهذه السياقات يمكن أن نؤسس عليها قولنا بأن الضمير يمكنه أن يُكوّن وجهاً أسلوبياً (سمة أسلوبية)، إذا حصل توظيفه بطريقة تتجاوز دلالة الإحالة العادية، إلى دلالة تروم تشييد الجمالية كما هو الحال في الشعر، أو تروم بناء طاقة حجاجية قادرة على الإقناع في المقامات السجالية، مع التنبه إلى أن الوظيفتين قد تجتمعان في بعض النصوص.

وفي هذا الباب، يمكن لنا أن نفسّر حجاجيًا طريقة الجاحظ في توظيف بعض الضمائر في مقام الدعاء الوارد في صدر إحدى رسائله:

يستهل الجاحظ رسالة «مناقب الترك» (الجاحظ 1/ 5-86) بفقرة دعائية يوظف فيها عددًا كبيرًا من التقنيات الأسلوبية، وأولها الاستحضار المركزي للمخاطب المباشر «الفتح بن خاقان» (247هـ) عبر كاف الخطاب، يقول: «وفكك الله لرشدك، وأعان على شكرك، وأصلحك وأصلحك على يديك [...]» (الجاحظ 1/ 5). ومن المعلوم أن هيمنة هذا الضمير على الفقرة الدعائية يعكس عناية الجاحظ الكبيرة بالفتح بن خاقان؛ فحضوره المكثف في النص اللغوي يوازي حضورًا مركزيًا في التفكير والوجدان؛ فكأن اللغة، في هذا المقام، تعكس بطريقة شفافة، مشاعر المتكلم حيال المخاطب.

وقد رافق تكرار ضمير الخطاب تنوع في صيغ الدعاء؛ فالعبارة الأولى «وفكك الله لرشدك» فيها دعاء للمخاطب بأن يوفقه الله لرشده، أما العبارة الثانية «أعان على شكرك»، ففيها دعاء لعامة الناس لكي يعينهم الله على شكر الفتح بن خاقان. ونقول إن المقصود بمن سيعينه الله على شكر المخاطب هو عامة الناس؛ لأن الجاحظ عمد إلى إضمار المفعول به («أعان» مفعول به مضمّر) على شكرك لكي يؤوّل على الإطلاق، وهذا المذهب في الدعاء يعكس درجة المخاطب ومكانته عند العامة؛ فمن يستحق شكر جميع الناس لن يكون إلا شخصية عظيمة؛ لها قيمتها الاعتبارية داخل المجتمع. وعلى ذكر تأويل المحذوف في الملفوظ، يمكن استحضار إشارات عبد القاهر بخصوص حذف «المفعول به» في أمثلة لغوية قام بتحليلها (مثل: فلان يحل ويعقد، ويأمر وينهى...): «المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق، وعلى الجملة» (الجرجاني 154). لكن؛ لا يفهم من هذا التعليل الحجاجي للحذف، أن الباحث يمكن أن يسقطه على جميع الحالات الممكنة؛ فالسياق وملابسات الخطاب الداخلية والخارجية هي التي تحدد دواعي حذف المفعول به، أو غيره من المكونات اللغوية.

وفيما يرتبط بالعبارة الثالثة في الملفوظ الدعائي أعلاه «أصلحك وأصلحك على يديك»، فقد أتى فيها الجاحظ بدعائين، الأول يعود على المخاطب مباشرة، والثاني يعود على المخاطب من جهة تحقق الصلح على يديه. ومن الواضح أن تفنن الجاحظ في توظيف الضمائر بهذه الطرق المتباينة، يفيد - إلى جانب المتعة الجمالية - وظيفة حجاجية تتمثل في كسب ثقة المخاطب؛ عبر تهيئته عاطفيًا للتفاعل مع خطاب يأتيه من متكلم يكن له كامل التقدير.

وفي مستوى الضمائر أيضًا، يجمع الجاحظ بين ضمير الخطاب وضمير المتكلم في دعائه حول الجمع بين العلم والعمل، فيقول: «وجعلنا وإياك ممن يقول الحق ويعمل به، ويؤثره، ويحتمل ما فيه مما قد يصده عنه، ولا يكون حظه منه الوصف له والمعرفة به، دون الحث عليه، والانقطاع إليه، وكشف القناع فيه، وإيصاله إلى أهله، والصبر على المحافظة في ألا يصل إلى غيرهم، والتثبت في تحقيقه لديهم [...]» (الجاحظ 1/ 5). وهذا الجمع بين الضميرين استراتيجي حجاجي يريد بها الجاحظ تقليص المسافة بينه وبين الفتح بن خاقان، كما يُظهر من خلالها عنايته الشديدة بهذا المخاطب في مستوى الإخلاص في النصيحة والدعاء، حتى إنه ليعامله معاملته لنفسه!

2. تقنية المقابلة

تُعد المقابلة إحدى أهم الآليات البلاغية المساعدة على الجمع بين الأنساق المتنافرة، أو المتقاربة في الخطاب، ولأجل ذلك تسمح بإقامة علاقات محددة بين عناصر القول، بهدف تأدية وظائف حجاجية مهمة، مثل التوضيح، والتفهم (بازي 9) وتأطير ذهن المخاطب داخل إطار ضيق يأخذ به إلى تقاسم الرأي مع المتكلم. فما هي صور اشتغال هذه الآلية البلاغية في أدعية الجاحظ؟

يدعّم الجاحظ دعاءه - المذكور سابقًا - الخاص بالجمع بين العلم والعمل بنصوص عديدة، تؤكد أن العلم تكتمل قيمته بتحوّله إلى فعل، وقبل أن نذكر التقنيات الأسلوبية الموظفة في هذه النصوص المعززة للدعاء المعني، نشير إلى أن الجاحظ ألف رسالته «مناقب الترك» لغرض عملي (تداولي) يتمثل في توحيد صف جند الخلافة الذين تختلف انتماؤاتهم العرقية؛ فقد كان تخوفه كبيرًا من استغلال عنصر الاختلاف العرقي لبث الفرقة في صفوف الجند. ومن هنا جاءت رسالته هذه لتحاول تفنيد دعوى تقلل من شأن الجند الأتراك بتفضيل أصناف آخرين من الجند عليهم، ولتؤكد - مقابل ذلك - أن هؤلاء الجند يتميزون بسجايا نادرة، تجعل الحاجة إليهم شديدة، وتفرض تقديرهم على الجميع.

وما يجعل الجاحظ يدعو لمخاطبه المباشر بأن يكون: «ممن يقول بالحق ويعمل به» هي حاجته إلى تفعيل خطابه حول الجند الأتراك، والفتح بن خاقان هو من سيسهر على إنجاز هذا التفعيل، لا سيما أن الجاحظ يخاطبه بقوله: «وقد أعجبني ما رأيت من شغفك بطاعة إمامك، والمحاماة لتدبير خليفتك، وإشفاقك من كل خلل وخلّة دخّل على ملكه وإن دقّ، ونال سلطانه وإن صغر» (الجاحظ 6 / 1)؛ والواضح أن المفهوم التداولي لهذا الكلام يشير إلى أن تفعيل بن خاقان خطاب الجاحظ مرده إلى محبته للخليفة/ السلطان وإخلاصه له.

ويُسجّل أن الجاحظ يعتمد على تقنية المقابلة في إثبات ملازمة العمل للعلم، وهي تقنية حجاجية إطارية - في اشتغالها داخل نص التحليل القادم - تنطوي على وجوه أسلوبية أخرى.

يقول الجاحظ: «إن الله تعالى لم يُعلّم الناس ليكونوا عالمين، دون أن يكونوا عاملين، بل علمهم ليعملوا، وبين لهم ليتقوا التورط في وسط الخوف، والوقوع في المضار، والتوسط في المهالك. فلذلك؛ طلب الناس التبيّن، ولحب السلامة من الهلكة، والرغبة في المنفعة، احتملوا ثقل العلم، وتعجلوا مكروه المعاناة. ولقلة العاملين، وكثرة الواصفين قال الأولون: العارفون أكثر من الواصفين، والواصفون أكثر من العاملين. وإنما كثرت الصفات وقلت الموصوفات؛ لأن ثواب العمل مؤجّل، واحتمال ما فيه معجّل» (الجاحظ 5 / 1).

يجفل هذا النص بمقابلات دلالية تبين قيمة الارتباط بين العلم والعمل، غير أنها لا تقوم - في سياق توظيفها - على بينة ضدية؛ فالعلم لا يقابل العمل، بل يُعد مقدمة له ودافعًا إليه، ومن هنا تكون البنية التي تجمع بين هذه المقابلات ذات معنى يقوم على التتميم والجمع:

الوصف والمعرفة = الحب والانقطاع

عاملون = عاملون

علمهم = يعملوا

العارفون والواصفون = العاملون

الصفات = الموصوفات

ينتقد الجاحظ الفصل بين العلم والعمل، وبين الصفات والموصوفات، ويوجه المخاطب إلى ضرورة الجمع بين طرفي جميع المقابلات المتقدمة، وأثناء إنجاز هذا العمل الحجاجي الذي يمهد الطريق لرسالته حتى تجد طريقها إلى التفعيل، يأتي بوجه أسلوبية تثبت أهمية الوصل بين العلم والعمل [حجة الوصل؛ تقوم على إثبات الصلة بين بنيتين لتحقيق هدف إقناعي] (بريتون 111-114)؛ ففي قوله: «إن الله تعالى لم يُعلم الناس ليكونوا عالمين دون أن يكونوا عاملين»؛ يؤكد بالأداة (إن) نفيه أن يكون الله تعالى قد أغفل دعوة الناس إلى العمل، واكتفى بتعليمهم فقط. يُضاف إلى كل هذا، أن تجانس الكلمتين (عالمين/ عاملين) لفظاً يشير إلى تجانسها على مستوى المعنى (عبد المنعم 108)، وذلك ما يؤكد حاجة كل منهما إلى الأخرى. وقد أتى حرف الإضراب (بل)؛ ليقدم بديلاً لجملة النفي السابقة، وهذا إجراء بلاغي يمكن التعبير عنه، بعبارة أحمد المتوكل، بـ«الجحد والتعويض» (المتوكل 108): «بل علمهم ليعملوا، وبين لهم ليتقوا التورط في وسط الخوف، والوقوع في المضار، والتوسط في المهالك»؛ أي إن الله تعالى أمر بالإقبال على العلم من أجل الانتفاع به في وضعيات عملية محددة.

عقب توظيفه هذه الوجوه الأسلوبية، يُنهي الجاحظ حديثه عن الوصل بين العلم والعمل بحجة سلطة: (الأولون بما لديهم من سلطة على العقل والوجدان)، يقول: «قال الأولون: العارفون أكثر من الواصفين، والواصفون أكثر من العاملين. وإنما كثرت الصفات وقلّت الموصوفات؛ لأن ثواب العمل مؤجل، واحتمال ما فيه معجل» (الجاحظ 5/1).

يبين هذا الشاهد القولي، لماذا انتشرت ثقافة التفريط في العمل والاكتفاء بالعلم فقط، حتى يعلم المخاطب أن ما درج عليه الناس لا يعادل الحقيقة والصواب ضرورة.

3. حاجبية الصورة الاستعارية

تطرق عدد من الباحثين إلى الطرق التي تفيدها الاستعارة وظيفية حاجبية، من ذلك ما بينه عبد الله صولة؛ حيث قال: «إن الاستعارة تنطلق من المحسوس، وتنزع مادة الصورة من عالم المتلقين ومجالات حياتهم، وتتشارك الاستعارة هذه الخاصية مع التمثيل: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [سورة الكهف: 45] (صولة 504، 505)، ومن ذلك أيضاً، ترك محل شاغر في بنية الاستعارة ليقوم المخاطب بملئه (لوجيرن 88).

وما نسعى إليه في هذا المحور، يتمثل في الكشف عن فعالية الاستعارة في تشكيل أدعية الجاحظ في فواتح بعض رسائله.

خصص الجاحظ رسالته «خلق القرآن» (الجاحظ 3/ 285-300) لإطلاع مخاطبه على جملة من القضايا المرتبطة بخلق القرآن، والتشبيه، وغيرهما من الإشكاليات العقدية. وقد بدا واضحاً أن المتكلم يجمع في هذه الرسالة بين الإفهام، والشرح، والتحذير، والتنبيه إلى أخطاء عدد من علماء الكلام. وكعادة الجاحظ في استهلال عدد من مؤلفاته بالدعاء، يقول في مقدمة «خلق القرآن»: «ثبّتك الله بالحجة، وحصّن دينك من كل شبهة، وتوفاك مسلماً، وجعلك من الشاكرين» (الجاحظ 3/ 285).

يناسب هذا الدعاء موضوع الرسالة؛ فالحديث عن خلق القرآن يرتبط عند الجاحظ بموقف كلامي يدافع عن صحته. ولأن علم الكلام يتناول قضايا عقدية إيمانية؛ فمن الطبيعي أن تتمخض عنه اتهامات التبديع والزيغ عن العقيدة السليمة. فموضوع الرسالة، رغم صبغته العلمية، يحتفظ بصلته الوطيدة بالصراع المجتمعي في شقيه الثقافي والسياسي، والرجوع إلى ما كتبه المتخصصون حول السياق الذي نشأ فيه علم الكلام، يُثبت أن الجدل الكبير بين علماء الكلام كان يحركه دافع تحقيق الغلبة الثقافية (الدينية) من أجل الانتصار للرأي السياسي (الغرض الحجاجي الأكبر). ومن هنا يأتي دعاء الجاحظ في «خلق القرآن» مُحمّلاً بغرض حجاجي يتمثل في تحذير المخاطب من دعاوى (المبطلين) في موضوع خلق القرآن؛ فالجاحظ، مثله مثل باقي علماء الكلام، ينظر إلى الرأي المخالف بوصفه باطلاً يستوجب التصدي له بالحجة من أجل كشف زيفه وإظهار تهافتة للعامة.

يفيدنا هذا الدعاء إذن، في تبين مهمتين غير منفصلتين يسعى الجاحظ إلى تحقيقهما: الأولى هي إبطال آراء أصحاب الأهواء، والأخرى تتمثل في تقديم واجب التحذير من الباطل لعامة المسلمين وخاصتهم. وفي سبيل تحقيق هاتين المهمتين يوظف الجاحظ استعارة حجاجية ذات أهمية كبيرة: «حصّن دينك من كل شبهة». فقد استعار للدين فعل التحصين على سبيل إقامة تماثل بينه وبين قلعة (أو مدينة) يجب أن تُحصّن من الخطر (الشبهة). وبحسب إجراء «مجال المستعار منه» الذي تقترحه أدبيات الاستعارة المفهومية لتشغيل التحليل الاستعاري (سمينو 29) فإن استعارة الجاحظ هذه مجالها الحرب؛ لأن التحصين في أصله فعل حربي يتوخى حفظ الممتلكات والأنفس من هجوم العدو. ويبين التقدم في تحليل العلاقة بين طرفي الاستعارة - موضوع الحديث - الخلوص إلى المعطيات التالية:

- الدين الصحيح (دين المخاطب): قلعة ينبغي تحصينها.
- الشبهة (أصحاب الآراء المخالفة للجاحظ): ما يهجم به العدو من أسلحة على القلعة.

ويُفترض أن ملفوظ الدعاء سيؤثر في مخاطب الجاحظ تأثيراً بالغاً؛ إذ سيجعله ينتبه في مقدمة الرسالة، وقبل أن يطلع على رأي المتكلم في موضوع خلق القرآن، إلى أنه بصدد التعامل مع موضوع بالغ الأهمية، وكلمة مجال الحرب «حصّن» كقيلة بأن تجعله في مستوى عالٍ من الانتباه.

وعموماً، فإن الاستعارة في هذا الدعاء تؤدي وظيفة حجاجية تتلخص في إعداد المخاطب للتفاعل الإيجابي مع آراء الجاحظ في خلق القرآن، لا سيما أن الموضوع يتصل بما يسلكه الخصوم انتصاراً لمذهبهم. وفي رسالة «المعلمين» (الجاحظ 3/ 17-51) أيضاً، نقف على فعالية الاستعارة الحجاجية في مقام الدعاء؛ فقد راهن الجاحظ على هذه الصورة البلاغية في التقليل من شأن مخاطبه، وما يقوله من كلام سيئ عن المعلمين.

جاء في صدر هذه الرسالة: «أعانك الله على سيرة الغضب، وعصمك من سرف الهوى، وصرف ما أعارك من القوة إلى حب الإنصاف، ورجح في قلبك إيثار الأناة. فقد استعملت في المعلمين نوك السفهاء، وخطل الجهلاء، ومفاحشة الأبدياء، ومجانبة سبل الحكماء، وتهكم المقتردين، وأمن المعتريين. ومن تعرّض للعداوة وجدها حاضرة، ولا حاجة بك إلى تكلف ما كُفيت» (الجاحظ 3/ 27).

يعكس هذا الدعاء صورة المخاطب الذي يجاوره الجاحظ في الرسالة، فهو مختلف تماماً عن ذلك المخاطب النموذجي (رجل السياسة وصاحب السلطة الذي يحظى بالتقدير والإجلال)؛ وبيان ذلك؛ أن الجاحظ استهل حديثه معه بمعاملة قاسية، بل إن رسالة «المعلمين» أُلّفت في الأصل لغرض التنبيه على سوء تقدير هذا المخاطب لفئة المعلمين. وفي رأي الجاحظ، أساء المخاطب الحديث عن المعلمين لكثرة علله الذاتية: سرف الهوى - الافتقار إلى الأناة - نوك السفهاء - خطل الجهلاء - مفاحشة الأبدياء - مجانبة سبل الحكماء... إلخ.

وقد أتى الدعاء أعلاه مناسباً لصورة المخاطب السيئة؛ فالاستعارة في قول الجاحظ: «وعصمك من سرف الهوى» تلخص بلاغياً دعوى النيل من المعلمين. فالمخاطب، وبحكم سيطرة الهوى عليه، يقول كلاماً غير دقيق في حق المعلمين. وكلمة «السرف» تضخم الهوى الذي يهيمن على صاحب الدعوى المرفوضة؛ لأن غلبة الهوى على العقل تتضح دلالتها بوجود شاهد السرف المادي، وهذا ما يجعل قارئ رسالة «المعلمين» يميل إلى دعوى الجاحظ منذ البداية مادام صاحب الدعوى النقيضة يبدو في صورة غير جديرة بالثقة.

ومن مجمل توظيفات الجاحظ الاستعارية في مقام الدعاء، تلك الاستعارات المتداولة والجارية على الألسن بكثرة (الاستعارات المسكوكة)، والتي يسميها محمد الولي استناداً إلى التراث البلاغي القديم (عبد القاهر الجرجاني أساساً) الاستعارة غير المفيدة (الولي 65-56). ومن المهم الإشارة إلى أن تعامل المحلل مع استعارات من هذا النوع في مقام أدبي خالص قد يجعله يخلص إلى أحكام تنفي الابتكار التصويري في النص، أو تقلل من شأنه. غير أن الاستعارة المسكوكة في الخطاب الحجاجي تحكمها عناصر السياق، وتفيد فعاليتها بفضاء تواصل محدد. وقد وجدنا الجاحظ يستعمل مثل هذه الاستعارات في سياق تواصل يحتاج إلى توظيف لغوي - مجازي من النوع المذكور، باعتبار أن الاستعارة المحددة توجب «بلاغة بيان، لا تنوب منابه الحقيقة» (الرماني 79).

ولعل هذا التفسير للاستعارات المسكوكة يماثل تفسيرنا للنصوص التي يستحضرها الجاحظ بكثرة في خطابه. فالسياق وطريقة توجيه المنقول يمكنان الملفوظ من بلوغ أهدافه الحجاجية.

وقد وقفنا في رسالة «الأوطان والبلدان» (الجاحظ 147-109 / 4) على مثال لهذا التوظيف الاستعاري المذكور. يقول الجاحظ: «زيتك الله بالتقوى، وكفناك المهيم من أمر الآخرة والأولى، وأثلج صدرك باليقين، وأعزك بالقناعة، وختم لك بالسعادة، وجعلك من الشاكرين» (الجاحظ / 109).

يستجيب الجاحظ في هذه الرسالة لسؤال مخاطبه: «سألت - أبقاك الله - أن أكتب لك كتاباً في تفاضل البلدان، وكيف قناعة النفس بالأوطان، وما في لزومها من الفشل والنقص، وما في الطلب من علم التجارب والعقل» (الجاحظ 4 / 109). ويذكر الجاحظ أن مخاطبه هذا تحدث بكلام حسن عن الأوطان والبلدان، لكنه أغفل الحديث عن بعض القضايا المهمة، مثل عمل البلدان، وتصرف الأزمان، وآثارهما في الصور والأخلاق، وفي الشرائع والآداب، وفي اللغات والشهوات. وهذا ما نفهم منه أن الجاحظ عمد إلى تأليف رسالة شاملة، لا تغادر أي جزئية في موضوع الأوطان والبلدان.

ولأن مقام المقدمة يقتضي الإقناع بأهمية الخطاب، يستعمل الجاحظ استعارة حجاجية في قوله: «أثلج صدرك باليقين»، ورغم أن هذه العبارة لا يُتنبه كثيراً إلى بعدها الاستعاري بحكم توظيفها المتكرر في المؤلفات والأحاديث، فإنها لا تعدم قيمتها الحجاجية في سياق توظيفها؛ لأنها تؤكد للمخاطب أن ما يحمله خطاب الجاحظ في موضوع الأوطان والبلدان من شأنه إثلاج الصدر.

وبما أن العرب يعيشون في بيئة صحراوية شديدة الحرارة، فإنهم يستعملون كلمة الإثلاج في معرض الدلالة على زوال الشدائد والعطش وحلول الارتواء والفرح؛ فالإثلاج في عبارة الجاحظ يعني أن خطابه حول الأوطان والبلدان سيزيل الحيرة، ويشبع الفضول المعرفي بكلام أساسه اليقين، لا سيما أن المعني بالخطاب تنقصه الإحاطة بدقائق كثيرة مما يتصل بالبلدان وتأثيراتها في الأخلاق والشرائع والآداب.

وتجدر الإشارة إلى أن مقام الدعاء يفرض علينا أن نمارس تأويلاً مؤسساً على قرائن الخطاب، إذا أردنا استجلاء الطاقة الحجاجية الكامنة في بنية الوجوه الأسلوبية الواردة فيه؛ فالاستعارة السابقة «أثلج صدرك باليقين» تلفظ بها الجاحظ في موضع الدعاء لمخاطبه، وحينئذ لم يكن يتحدث بكلام مباشر عن أهمية خطابه حول الأوطان والبلدان، لكن النظر التأويلي إلى البنية المترابطة للخطاب، والوعي بالبناء الترتيبي - الحجاجي لرسالة الأوطان، يساعدان على استجلاء وظائف الدعاء الحجاجية عامة، ووظائف الوجوه الأسلوبية الموظفة داخله خاصة. والواقع أن هذا الكلام يقودنا إلى القول بأن الجاحظ يحذق الإشارة الخفية إلى موضوع الخطاب في مقام الدعاء. يقول إبراهيم بن المدبر في هذا الباب: «وليكن في صدر كتابك دليل واضح على مرادك، وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك... فإن ذلك أجزل لمعناك، وأحسن لاتساق كلامك...» (ابن المدبر 22). وإذا تصفحنا العديد من المؤلفات العربية القديمة يمكن أن نلاحظ أن أصحابها «عمدوا إلى توظيف أدعية مستمدة من موضوعات مؤلفاتهم ومنسجمة مع مضامينها؛ إذ تتنوع استهلالات الكتب وتختلف بحسب حقولها العلمية» (الإدريسي 32).

4. الحجاج بأسلوب الشرط

يقترّب أسلوب الشرط من الحجاج القائم على تقييم الأمور بالنظر إلى نتائجها [حجج النتيجة] (البهلول 382)، وتفسير ذلك يتحدد في قيام القاعدة الدلالية لهذا الأسلوب على علاقات السببية، أو

التلازم، أو غيرهما من العلاقات التي تصل بين بنيتين لفظيتين. وهنا سنحاول تحليل مثال لأسلوب الشرط، عبر الكشف عن بنيته، وربطها بالوظيفة الحجاجية، مع استحضار سياق الدعاء طبعاً.

يقول الجاحظ في صدر رسالته «تفضيل النطق على الصمت» (الجاحظ 4/ 229-240): «أمتع الله بك وأبقى نعمه عندك؛ وجعلك ممن إذا عرف الحق انقاد له، وإذا رأى الباطل أنكروه وتزحزح عنه» (الجاحظ 4/ 229).

يُعقَّب الجاحظ في هذه الرسالة على ما كتبه المخاطب، وذهب فيه إلى أن الصمت أفضل من النطق. وهذا المذهب يجده الجاحظ «كلام امرئ قد أعجب برأيه وارتطم في هواه» (الجاحظ 4/ 230). والدعاء في صدر الرسالة يدفع المخاطب إلى قبول نتائج المناظرة بينه وبين الجاحظ في موضوع المفاضلة بين النطق والصمت، وذلك ما يتحقق عبر توظيف أسلوب الشرط توظيفاً حجاجياً؛ فقول الجاحظ: «وجعلك ممن إذا عرف الحق انقاد له» يجعل المخاطب واعياً بالتزامه الأساس بعد نهاية المناظرة، وأداة الشرط (إذا) تستعمل للثبوت المتوقع (المراي 367)؛ فإذا ثبتت معرفة المخاطب للحق انقاد له (التلازم بين معرفة الحق والانقياد له). ثم يأتي الجاحظ بالشرط المقابل لهذا الالتزام «وإذا رأى الباطل أنكروه وتزحزح عنه»، فمثلاً يُقبَل المخاطب على الحق إذا عرفه، ينكر الباطل ويتزحزح عنه إذا علم به (التلازم بين العلم بالباطل وإنكاره والتزحزح عنه).

يتخذ أسلوب الشرط في هذا الدعاء صورة الحجة المنطقية. أما السبب الذي يجعلها أعلق بالمنطق فيتمثل في كونها تقوم على تلازمين متقابلين تجمعهما علاقة سببية. وقد ورد الأسلوب الشرطي المذكور في مقدمة الرسالة، لأن المقدمة هي المقام الأنسب للاتفاق بين المتناظرين حول شروط التناظر [ولو أن هذا الاتفاق أورده الجاحظ بالتضمنين وعلى سبيل الإيحاء]، ومن الطبيعي أن يختار كل طرف الشرط الذي يساعده على تحقيق الغلبة. ولأن الجاحظ كان مؤمناً بحججه القوي في موضوع تفضيل النطق على الصمت، فقد وضع عينه على إلزام المخاطب بالإذعان لنتيجة المناظرة.

5. رتبة الكلمة

نجد الحديث عن الأغراض البلاغية لترتيب الكلمات في الخطاب ضمن باب «التقديم والتأخير». وقد تحدث البلاغيون العرب القدامى عن وظائف التقديم والتأخير بتفصيل دقيق. والثابت أن الدوافع التي تقف وراء عدول المتكلم عن الترتيب الأصلي للكلمات في الجمل؛ أي الترتيب الذي يتفق مع القواعد النحوية العامة، تتلخص في شروط التواصل والمقاصد التي يروم الخطاب بلوغها. وبتعبير آخر، التقديم والتأخير تفرضه الشروط التداولية (الجرجاني 106-145)، وذلك ما يعني أن جماليته تتجاوز الإمتاع إلى الإقناع. فما صور توظيف هذا الإجراء البلاغي في الملفوظات الدعائية المدروسة؟

يعالج الجاحظ في رسالته «المسائل والجوابات في المعرفة» (4/ 47-65) مسائل علمية دقيقة، مثل الكيفية التي تتحقق بها المعرفة؛ أتكون بالاضطرار أم بالاكْتساب؟ ومثل الاستطاعة عند الإنسان وعلاقتها بالتكليف... وقد عالج المتكلم هذه المسائل بطريقة حوارية؛ يستحضر بها أقوال الآخرين، ويقوم بالتعليق عليها؛ انطلاقاً من تصوره وقناعاته الكلامية. غير أن الردود الحجاجية في هذه الرسالة

لم تتخذ صورة الحوار المباشر مع أحد الخصوم؛ فقد اقتصر على الانشغال بالمعارف والمسائل العلمية، والتعقيبات الواردة فيها استُخدمت بصفة عرضية، ومن أجل بناء الدعوى وتأسيسها عبر آلية الحوار. جاء في هذه الرسالة الدعاء الآتي: «بالله نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا بالله» (الجاحظ 47 / 4).

يبين هذا الملفوظ أن الجاحظ يسأل الله التوفيق من خلال الإقرار بأن بالالتجاء يكون إليه في التوكل وطلب الاستعانة. ويمكن التعليق على ورود الدعاء بهذه الصورة الذاتية المنفصلة عن المخاطب؛ بالقول إن الجاحظ يعالج في الرسالة مواضيع علمية لم تضعه في مواجهة خطابية مباشرة مع أحد الخصوم. وسيفضي بنا تحليل هذا الدعاء من خلال مدخل التقديم والتأخير إلى الوقوف على إخلاص الجاحظ في طلب العون من الله، ومن ثم تأكيد الطبيعة الذاتية لهذا الدعاء.

يقدم الجاحظ في الجملتين الدعائيتين حرف الجر والاسم المجرور «بالله - وعليه» على الفعل والفاعل «نستعين - نتوكل». فلماذا هذا العدول عن الترتيب الأصلي للكلمات في الجملة الفعلية اللازمة: الفعل اللازم - الفاعل - شبه الجملة؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال بعد النظر في قول الجاحظ: «وما توفيقنا إلا بالله»؛ فهذه العبارة تحتوي على القصر؛ فقد اجتمع فيها النفي (ما) والاستثناء (إلا)؛ فقصرت بذلك التوفيق (من جهة المنح والعطاء) على الله. ومن هنا نقول: إن التقديم والتأخير في الجملتين أعلاه ينسجم مع غرض القصر؛ إذ قصر الجاحظ الاستعانة والتوكل على الله من جهة المفعولية؛ أي لا يمكن الاستعانة إلا بالله ولا التوكل إلا عليه.

ويلاحظ أن تقديم شبه الجملة «بالله - عليه» على الفعل تلخص إرادة المتكلم في الإخبار عما يتوكل عليه ويسأله التوفيق؛ أي إن بؤرة الخبر، حسب مواقع الكلمات في الملفوظ، هي الإخبار عن إخلاص النية في طلب العون من الله والتوكل عليه. وهذا الباب المتعلق بعمق الخبر في الجملة انطلاقاً من إجراءات التقديم والتأخير، فصّل فيه عبد القاهر الجرجاني الحديث طويلاً، وبين أن إرادة المتكلم الحجاجية متعلقة بجهة الإخبار وطبيعة النسق القولي المسخر لها: «إذا قلت: ما زيداً ضربت، فقدمت المفعول، كان المعنى أن ضرباً وقع منك على إنسان، وظن أن ذلك الإنسان زيد، فنفيت أن يكون إياه» (الجرجاني 126). ولأننا تعاملنا - في التحليل أعلاه - مع الجار والمجرور بوصفه مفعولاً به؛ نورد التوضيح التالي للجرجاني: «وحكم الجار مع المجرور في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب، فإذا قلت: [ما أمرتك بهذا]، كان المعنى على نفي أن تكون قد أمرته بذلك، ولم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر.. وإذا قلت: [ما بهذا أمرتك]، كنت قد أمرته بشيء غيره» (الجرجاني 127).

وينبغي التأكيد على أن لبنية الحجاج الدعائية الكامنة في بنية العبارة المحللة خصوصية واضحة؛ فهو حجاج بلاغي مرتبط بموقف روحي (ذاتي) يستمد من خلاله المتكلم القوة والعزيمة والقدرة على الاستمرار في الكتابة وخوض غمار الأسئلة والعلوم.

6. التوازن الصوتي

صحيح أن جميع الوجوه الأسلوبية السالفة لها حظها من الجمالية؛ فالتوظيف الأسلوبي الفريد يدرك مقاصده التداولية بانطوائه على قدر من جمالية تملك التأثير في مشاعر المخاطب (جميل 113)، غير أن وجوه الأسلوب تتفاوت من حيث صلة كل منها بالإمتاع الجمالي؛ فأسلوب الشرط بنزوعه إلى القياس المنطقي لا يصل إلى مستوى الإمتاع في المحسنات البديعية والعبارات التي يتحقق فيها التوازن الصوتي-الموسيقي.

ومن أمثلة الإمتاع الجمالي البديعي في أدعية الجاحظ، ما جاء في مقدمة رسالة «فصل ما بين العداوة والحسد» (الجاحظ 1/ 337-373):

«أصبح الله مدتك السعادة والسلامة، وقرنها بالعافية والسرور، ووصلها بالنعمة التي لا تزول، والكرامة التي لا تحول» (الجاحظ 1/ 337).

يحفل هذا النص بجملته من التوازنات التركيبية والصوتية. فعبارة «النعمة التي لا تزول» توافق عبارة «الكرامة التي لا تحول» على مستوى التركيب؛ أي ترتيب الكلمات ومواقعها الإعرابية، بالإضافة إلى أن العبارتين توافقتا في تكرار كلمتين: «التي، لا»، ثم خُتمت كل عبارة بلفظين مسجعين «تزول - تحول».

وفي صدر الرسالة المسماة «في صناعات القواد» (الجاحظ 1/ 379-393) نقرأ الدعاء الآتي: «أرشدك الله الصواب، وعرفك فضل أولي الأبواب، وجعلك ممن يعرف عز الأدب كما تعرف زوائد الغنى» (الجاحظ 1/ 379).

نقف في هذا الملفوظ على توازنات من طبائع مختلفة؛ أولها: الأفعال المختومة بضمير الخطاب في صدر كل قطعة لغوية من الملفوظ: «أرشدك، عرفك، جعلك». والواضح أن موسيقى السجع في هذا التوظيف المتكرر تدعم دلالة العناية بالمخاطب من خلال التردد المتكرر للضمير العائد عليه. أما التوازن الصوتي الثاني في الملفوظ؛ فيتمثل في السجع الوارد في القطعتين الأوليين من الملفوظ: «الصواب، الأبواب». وأخيرًا نشير إلى أهمية التوظيف المتكرر للفعل «عرف» بتنوعاته المختلفة: «عرفك - تعرف - تعلم الأدب والحرص على الاستزادة منه».

وعقب هذا التحليل لنموذجين من الدعاء، نستطيع القول إن المحسنات الصوتية الجمالية تتلخص في خلق الأثر الإيجابي في نفوس القراء عامة، وفي نفس المخاطب الذي يوجه إليه الجاحظ خطابه بصفة خاصة. فإذا كان الدعاء موقفًا عاطفيًا تأثيريًا، فإن البديع والتوازنات الصوتية عامة تؤدي وظائف التأثير، وتجذب اهتمام المخاطب، وتتحكم في تركيزه واستمالاته إلى القول.

خاتمة

انطلاقاً من التحليلات المتقدمة، نتبيّن أن الأسلوب يؤسس بلاغة الدعاء في رسائل الجاحظ على نحو ظاهر، فقد ساعدها على التشكّل في بنية تأثيرية، تقود إلى إقناع المتلقي بدعوى الخطاب، وتدعوه إلى الإقبال على القول باستعداد إيجابي. وقد تمثلت وظائف الأسلوب في بناء الدعاء، في خلق طاقة حجاجية متعددة الوجوه، مثل إنشاء الماثلات الإقناعية عبر نظام الاستعارة، واستعمال الضمائر بصورة توحى بالعناية بالمخاطب، واستعمال المؤثرات الجمالية الصوتية لإمتاع المخاطب، وتمتين علاقته بعالم الخطاب. وبصفة إجمالية؛ يمكننا القول إن الجاحظ كان يوظف الأسلوب في مقام الدعاء بطريقة مُغرّضة، تسمح له بإحداث التأثير الحجاجي المساعد على الإقناع.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- ابن المدبر، إبراهيم. الرسالة العذراء، تصحيح وشرح: زكي مبارك. دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1، 1931.
- الإدرسي، يوسف. عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر. دار العربية للعلوم ناشرون. بيروت، ط 1، 2015.
- بريتون، فيليب. الحجاج في التواصل، ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي. المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2013.
- بليت، هنريش. البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتعليق، محمد العمري. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999.
- بن رمضان، صالح. الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، مشروع قراءة شعرية. دار الفارابي، بيروت، ط 1، 2001.
- _____ . الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجرياً، مقارنة أسلوبية حجاجية. مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط 1، 2011.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1979.
- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. دار المدني، السعودية، 1992.
- الدرابي، عبد الفضيل. بلاغة الدعاء، بحث في المبادئ والسمات والوظائف. دار كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2018.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى. النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام. دار المعارف، القاهرة، 1976.
- سيمينو، إيلينا. الاستعارة في الخطاب، ترجمة: عماد عبد اللطيف وخالد توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2013.
- صولة، عبد الله. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. دار الفارابي، بيروت، ط 2، 2007.
- عبد المجيد، جميل. مدخل إلى بلاغية وحجاجية الخطاب القضائي. ضمن الكتاب المشترك «الحجاج، مفهومه ومجالاته». عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2010.
- عبد المنعم، إبراهيم. بلاغة الحجاج في الشعر العربي - شعر ابن الرومي نموذجاً. مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2007.
- لوجيرن، ميشيل. «الاستعارة بين حساب المنطق ونظريات الحجاج». مجلة المناظرة، ع 4، مايو 1991.
- المتوكل، أحمد. الوظيفة والبنية، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية. منشورات عكاظ، الرباط، 1993.
- محمد، بازي. تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي. دار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط 1، 2010.
- المرادي، الحسن بن القاسم. الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة. دار الآفاق، بيروت، 1983.
- مشبال، محمد. خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ مقارنة بلاغية حجاجية. دار كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2015.
- الولي، محمد. الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1990.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- 'Abdelmajīd, Jamīl. *Madkhal ela balāghiyat wa hijājiyyat al-khitāb al-qadā'ī*, Within the joint book "al-Hijāj: Mafhūmuh wa Majālātuh" (in Arabic), Jordan: 'Ālam al-Kutub al-Hadīth, 1st ed, 2010.
- 'Abdelmun'im, Ibrahīm. *Balāghat al-Hijāj fi shi'r al-'arabi (Shi'r Ibn Errūmi)*. (in Arabic), Maktabat al- Ādāb, 1st ed , 2007.
- Al-Jāhīz, Amrū Ben baḥr. *Rasail al-Jāhīz*. (in Arabic), edited by Abdessalām Harūn, (Library al-Khānjī, 1st ed, 1979).
- Al-Jurjāni Abd al-Qāhir. *Dalā'il al-I'jāz*. (in Arabic), readed and commented by: Maḥmūd Moḥammed Shākīr. (Saudi Arabi-Egypt: Maktbat al-Madanī, Dār al-Madani, 1992).

- Al-Murādi, el-Ḥassan ben el-Qāssem. *al-janyyi addāniyy fi ḥurūf al-Ma'āni*. (in Arabic), edited by: Fakhr eddīne Qabāwa, (Beirūt, dār al- Āfaq, 1983).
- Al-Mutawakkil, Aḥmad. *al-Wazīfah wa al-Brnyah Muqārabāt wazīfiyah lī ba'ḍ qaḍāya al-tarkīb fī al-lughah al-'arabiyyah* (in Arabic), Rabāt: Manshūrāt 'ukāz 1993.
- Arrommānī, Abu al-Ḥassan ali ben 'Issa. *annukat fi I'jāz al-Qurān, within "Thalāt Rasa-īl fi I'jāz al-Qurān"*, (in Arabic), edited by: Moḥammed Khalaf Allāh and Moḥammed Zaghlūl Salām, (Cairo: Dār al-Ma'ārif, 1976).
- Balit, Hinrich. *Albalāgha Wa Al-Oslūbiyya, translated by Al-Omarī Moḥamed*. (in Arabic), (Casablanca: Afrīkia Chark, 2010).
- Bāzi, Moḥamed. *takābolat al-nnas wa Balāghat Al-khitāb*. (in Arabic), (Lebanon: Dār Nāchirūn , 2010).
- Ben el-Modabir, Ibrahīm. *al-Risalah al'Adhrae*. (in Arabic), Corrected and explained by: Zaki Mubārak, (Dār al-Kutub al-Misriyyah, 1st ed, 1931).
- Ben Ramdān, Sāleḥ. *al-Rasail al-Adabiyya wa Dawruhā fī Tatwīr al-Nnathr al-'Arabi al-Qadīm, Mashrū' Qirāea Chi'riyya*. (in Arabic), (Beirūt: Dār al-Farābī, 1st ed, 2001)
- _____. *al-Wassaya al-Adabiyya Ila al-Qarn Arrabi' Hijriyyan, Muqaraba Uslūbiyya Hījājiyya*, (in Arabic), (Institution al-Intishār al-'rabi, Beirūt, 1st ed, 2011).
- Brethon, Philippe. *al-Hijāj fī attawāsul*. (in Arabic), translated by Moḥamed Mechbāl and Abdelwāḥid el-'alami, (Cairo: Al-markaz al-Qawmī li- Ttarjamah, 1st ed, 2013).
- Draoui, Abdelfdīl. *Balāghat ad-Du'ae , Baḥth fī al-Mabadi-e wa Assimāt wa al-Wadhā-if*. (in Arabic), (Jordan: Dār kunūz al-Ma'rifa, 1st ed, 2018).
- El idrīssi, Yūssef. *'atabat Annas Fi Atturāth al-'arabi wa al-Khitāb Annaqdi almu'āsir*. (in Arabic), (Beirūt: ad-Dār al-arabiyyah lil-Olūm Nashirūn, 1st ed, 2015).
- El-walī, Moḥamed. *Assūra shi'riyya Fi al-Khitāb al-Balāghi wa Ennaqdī*. (in Arabic), (Casablanca: al-Markaz athaqāfi al-Arabī, 1st ed, 1990).
- Legern, Michelle. *al-Isti'ara Bayn Hisāb al-Mantiq wa Nazariyyat al-Hijāj*. (in Arabic), (published in "al-Munāzarah Magazine, No 4, Mai, 1991).
- Mechbāl, Moḥamed. *Al-Akhlāq Wa Al-Howiyya*. (in Arabic), (Jordan: Konūz AL-Ma'rifa, 2015).
- Reboul, Olivier. Introduction à LA rhétorique. PUF: 2^{ème} éd, 2013.
- Sawlah, Abdellāh. *al-Hijāj fī al-Qurān Min Khilāl Ahamm Khasā-isihi al-uslūbiyyah*. (in Arabic), (Beirūt: Dār al-Farābbī, 2^{ème} ed, 2007).
- Simino, Elina. *al-Esti'ara fī al-Khitāb*. (in Arabic), translated by: Imād Abdellatīf and Khāled Tawfīk, (Cairo: al-Markaz al-Qawmī li-Ttarjamah, 1st ed, 2013).